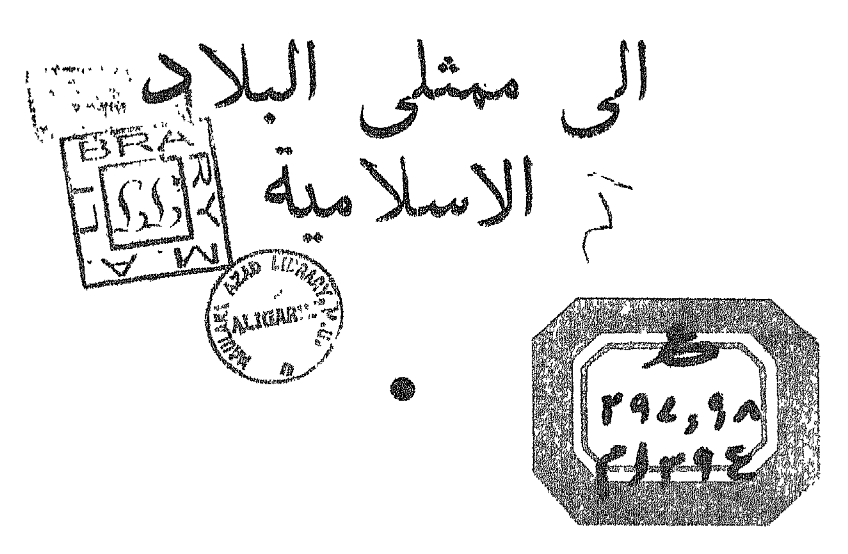
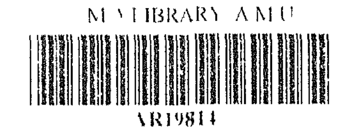
74



الى ممثلي البلاد الاسلامية

محاضرة عقيب مؤتمر ثقافي عام

للأستاذ ابي الحسن علي الحسني





بسم الله الرحمن الرحيم

الى ممثلى البلاد الاسلامية

سادتى ! عرّجت على المؤتمر الثقافى العام الذى قد اشترك فيه ممثلوا البلاد وبعثات الامم ووفود النوادى فرائيت معرضا للجنسيات والوطنيات والحضارات . ورائيتكم ايها السادة المسلمون شامة بين الناس لا لأنكم تمتازون عن زملائكم فى الشارة واللباس ، بل لأنكم تمثلون تلك الأمة العظيمة التى كانت ولاتزال شامة بين الأمم ،

كان العالم قبل ثلاثة عشرقرناً سائراً سيره الطبيعى لاينكر من امره شئى، وكانت القرى والمدن عامرة بالسكان، وكانت العواصم الكبرى زاخرة العمران شامخة البنيان وكانت الحرف البشرية ووجوه المعاش فى ازدهار وانتشار، كانت الزراعة ، وكانت التجارة وكانت الصناعة ، فبينما كانت سكة الفلاح فى شغل ونشاط ،كانت القوافل التجارية غادية رائحة بين الشرق والغرب ، وكانت الاسواق مشحونة

بالمتاجر والبضائع وكان الصناعون مكبين على اعمالهم ، وكانت الحكومات والامارات والدول غنية بأموالها ورجالها لكل وظيفة رجل كفؤ بل رجال أكفاء وكان على وجه الارض كل نوع من البشر وكل لون من الحياة وكل مظهر من مظاهر المدنية ، لايرى في الحياة الانسانية المادية عوزاو فراغ ولم تكن في المدنية وظيفة شاغرة يترشح لها مترشح جديد ، وكانت كأس الحياة مترعة فائضة لاتطلب المزيد ،

في هذه الحال ظهرت امة في جزيرة العرب ووجد نوع جديد من البشر ، وكأنى بالامم المعاصرة وهى تتساءل: اى داع الى ظهور امة جديدة والامم على وجه الارض كثيرة منتشرة وما شغل هذه الامة الحديثة وما مهمتها في العالم ؟!

اذا كانت هذه الامة انما بعثت المزراعة وعمارة الارض فقد كان في فلاحى الطائف وأكارى مدينة يثرب ، وزراع وادي الفرات والنيل وربوع گنگا و جمنا غنى عن امة زراعية جديدة فقد اصبحت اراضى هؤلاء الفلاحين وبلادهم جنة تدر لبنا وعسلا ، واذا كان المسلمون انما بعثوا ليشتغلوا بالزراعة فقط فلماذ الم يبعثوا في العراق والشام وفي مصر

والهند مثلا وهى بلاد مخصبة زراعية ولماذا كان مبعثهم فى واد غيرذى زرع ؟

واذا كانت هذه الامة انما بعثت للتجارة فقد كان فى يهود يثرب وفى انباط الشام وفى اقباط مصر وتجار السند كفاية، فقد احكموا فن التجارة وانتشروا فى العالم ، واذا كانو اقد بعثو ليشتغلوا بالتجارة حقا ، فلماذا لم يبعثوا على طريق القوافل التجارية وبقرب من اسواق التجارة الكبرى ؟

واذا كانت هذه الامة انما بعثت للصناعة واعمال اليد فقد كان فى قيوں البلاد المتمدنة واصحاب الصنائع والحرف - وانهم لكثير - غنى وكفاية !

واذا كانت هذه الامة انما بعثت لتنضم الى الحكومات الرومية والا يرانية وتشغل افرادها وظائف هذه الحكومات ومنا صبها ، فقد كان فى اهل الشام و فارس غنى و كفاية فى الادارة وانهم ليزاحمون الا جانب بالمنا كب ويد فعونهم بالراح ،

واذا كانت هذه الامة انما بعثت لعيش هنيى، ومطعم

شهى ، ومشرب مرئ ، وملبس رضى ومسكن بهى لاالشيئ إخر ، وانما مناها وهمها ان تلقى لبوساً ومطعما لم تكن بدعاً من الامم ، وكانت منافسة لنا فحق لنا ان نقا تلها ونذودها عن منا هلنا وقد ضاقت بنا مواردنا فكيف تسع امة جديدة ؟

واذا كانت هذه الامة انما تحاول ملكا اوتريد ان تؤسس دولة فيجب ان تصرح بذالک ولاانتظاهر بالدين وتتخذ لذلک طريق الملوک والفاتحين ،

وان الطريق الى كل ذالک ـ من زراعة و تجارة و صناعة و وظيفة و حياة بذخ وترف و ملک و شرف ـ غير الطريق التى سلكتها هذه الامة الجديدة التى سفهت احلامنا وعابت آلهتنا ونعت على عقائدنا واخلاقنا واعمالنا و دعت الى دين جديد و سارت فى سبيل ذلک فى شوک وقتاد وجا هدت فى غير جهاد ، فقد كان الطريق الى كل ذلک مسلوكة معبدة قد سلكتها الامم من قبل ،

هذا يا سادتى ما اظنه قد تناجىٰ به ضمير الانسان الحي فى فجر الاسلام ، ولاالومه ، ولا استغرب هذا

السوال ، فان هذا السوال طبعي ينبغي ان يهجس في قلب الانسان وينطق به اللسـان عند كل ناشئة ، فلماذا لاينشأ هذا السوال عند ظهورامة بأ سرها ؟

ماهو الجواب ؟ اذا كان الجواب في الاثبات و اذا كان مبعث هذه الامة في الحقيقه لشئ مما ذكرنا ، ولم تكن لهذه الامة مهمة جديدة في العالم و رسالة خاصة الى الامم كانت هذه الامة حقا من فضول الامم ومن المتطفلين على مائدة العالم !

ولكن لم يكن مبعثها لهذا و لا ذاک ، والامم والاشخاص لايبعثون لشئ من هذا وانما هي من طبائع البشر لاتحتاج الى نبوة النبي و بعثة امة و جهاد طويل و زلزال عالمي لم يسبق في التاريخ ، زلزال في المعتقد والاخلاق والمجتمع والميول والنزعات وفي نظام الفكر ومنهاج الحياة

لقدكان مبعثها لغرض سام جداً ، لمهمة غريبة طال عهد الانسانية بها وتشا غلت امم الانبياء عنها حتى نسيتها وذالک ما خاطب به الله سبحانه و تعالیٰ هذه الامة « كنتم خيرامة اخرجت للنـاس تامرون بالمعروف و تنهـون عن المنكر و

تؤمنون بالله» فنبه على ان هذه الامة ليست نابتة نبتت في الارض كاشجار برية او حشائش شيطانية بل انها امة أخرجت ولامرما اخرجت، وانما لم تظهر لمصلحتها فقط كسائر الامم بل انها اخرجت للناس، و ذالک ماتمتاز به هذه الامة في التاريخ فمامن امة الا وهی تسعیٰ لا غراضها کانما خلقت لها، وهی خیرامة اخرجت للناس وذالک يرجع الى شغلها و مهمتها وهی الامر بالمعروف والنهی عن المنكر والايمان بالله»

ظهرت نواة هذه الامة فی مكة قلب جزيرة العرب فقام العقلاء من قريش وهم الآخذون بزمام الحياة فی البلاد — و نشروا كنانتهم و قاسوا الناشئة الجديدة بمقائيسهم التی عرفوها والفوها ووزنوها فی ميزان الانسان الذی طالما و زنوافيه اصحاب الطموح فوجدو هم خفيفة الوزن طائشة الكفة و ذهبوا الى امام الدعوة الاسلامية و اول المسلیمن فی العالم - صلی الله عليه وسلم - فقال قائلهم

«انک قداتيت قومک بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضیٰ من

آبائهم فاسمع منى أعرض عليك اموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها »

قال فقال له رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع

قال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالاً ، جمعنالك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت انما تريدبه شرفاً سود ناك علينا حتى لا نقطع امراً دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا »

استمع رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم لكل ذلك فى هدوء وتان ، ثم رفضه فى غير شك وتاخير ، ولم يكن هذا العرض من قريش على شخص الرسول صلى‌الله عليه وسلم بل كان على هذه الامة التى كان يمثلها ويقودها ، ولم يكن رفض رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم لما عرضت قريش رفضا عن نفسه الكريمة فقط بل كان رفضاً عن امته الى آخر الابد ،

اقتنعت قريش بهذه المحاورة ويئست من مساومة هذه الامة ولم تعد تعرض على‌الرسول صلى‌الله عليه وسلم مباشرة

وعلى هذه الامة بواسطة ما عرضت من قبل و قطعت منها أملها ».

وكان بعد ذلك صراع مستمر و نزاع طويل ولم يكن نزاعاً فى اغراض المادة، وشهوات البطن والاستئثار بموارد الرزق والتغلب على الاسواق بل كان نزاعاً بين الاسلام والجاهلية بمعنى الكلمتين نزاعاً بين حياة العبودية والا نقيادلله تعالى ولرسوله وبين الحياة الحرة المطلقة التى لا تعرف قيداً ولا تخشى معاداً ولا حسابا ،

وكان فى نتيجة ذلك معركة بدر الحاسمة ، وقد قادالنبى صلى الله عليه وسلم الى ساحة القتال جيشا لايزيد عددالمقاتلين فيه على ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلا والجيش المنافس فيه الف ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم يقينا ان لو وكل المسلمون الى انفسهم وقوتهم المادية لكانت النتيجة معلومة واضحة ، نتيجة كل قليل ضعيف امام قوى كثيرالعدد

فزع الرسول الى الله تعالى فى انابة نبى والحاح عبد ودعاء مضطر وشفع لهذه العصابة فى كلمات صريحة واضحة

نيرة خالدة هي خير تعريف لهذه الامة و بيان لمهمتها وغرضها الذي خلقت له ،

لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو هلكت هذه العصابة وكانت فريسة للعدو اقفرت المدينة واوحشت اسواقها وكسدت التجارة ، وبطلت الزراعة او تعطل شغل من اشغال الحياة او وقفت ادارة الحكومات ، لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك لان شيئا منها لم يتوقف على المسلمين ولم يقم بهم بل كان قبل وجود المسلمين ولا يزال في غنى عنهم ،

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر شيئا بعث المسلمون لاجله وقام بالمسلمين وجدهم فقال «اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد»

أجاب الله دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقضى بانتصار المسلمين على عدوهم وبقائهم ، فكانما كان بقاء المسلمين مشروطاً بقيام حياة العبودية بهم وقيامهم بها ، فلو انقطعت الصلة بينهم و بين العبادة ورواجها وازدهارها في العالم انقطعت الصلة بينهم وبين الحياة ولم يبق على الله لهم حق وذمة ،

واصبحوا كسائرالامم خاضعين لنواميس الحياة وسنن الكون بل كانوا اشد جريمة واقل قيمة من الامم الاخرى اذلم يشترط لبقائها وحياتها مثل ما اشترط لهم وكان كما اخبرالله تعالى « قل مايعبؤ بكم ربى لولادعائكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً »

وقد حافظ المسلمون على هذا الشرط وبروا بهذا العهد و تذكروا انهم انما نصروا على عدوهم - وقد كاديأتى عليهم ويستا صلهم فى ساحة بدر - وتركوا على ظهر الارض لان عبادة الله منوطة بهم على ارض الله

بهذه الرسالة انبثوا فى العالم وحملوها الى الملوك والسوقة والامم، وفى سبيل ذلك هاجروا وجاهدوا ولاجل ذلك حاربوا وعاهدوا ، ولم يزالوا يعتقدون انهم مبعوثون من الله الى الامم وحاملوا راية الاسلام فى العالم ،

ارسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر الى رستم قائد الجيوش الفارسية واميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجاسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير واظهر اليواقيت واللآلى الثمينة ، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الامتعة

الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب و دخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على راسه فقالوا له ضع سلاحك ، فقال انى لم آتكم وانما جئتكم حين دعوتمونى فان تركتمونى هكذا والارجعت ، فقال رستم ائذنوا له فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها فقالوا له ماجاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن ابى قاتلناه ابداً حتى نفضى الى موعود الله ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من ابى والظفر لمن بقى (١) !

اباح الله للمسلمين الطيبات وفسح لهم فى طرق الكسب ووجوه المعاش ولم يضيق عليهم فى ذلك فقال « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى

(١) البداية والنهاية لا بن كثير

للذين آمنوا فی الحیوة الدنیا خالصة یوم القیامة» وقال «فاذا قضیتم الصلواة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله» ولکن الله لم یبعثهم لذالک امة، ولم یرضه لهم غایة ومهمة بل خلقهم للسعی للآخرة وخلق اسباب الحیاة لهم قال النبی صلی الله علیه وسلم «ان الدنیا خلقت لکم وانکم خلقتم للآخرة» وجعل الحیاة واسبابها خاضعة لمهمتهم التی بعثوا لاجلها فاذا زاحمتهم فی سبیل مهمتهم او غلبتهم علیها رفضوها و اذا تلکأ المسلمون فی ذلک عاتبهم الله عتابا شدیداً وقال «قل ان کان آبائکم وابنائکم واخوانکم وازواجکم وعشیرتکم واموال ن اقترفتموها و تجارة تخشون کسادها ومساکن ترضونها احب الیکم من الله و رسوله و جهاد فی سبیله فتربصوا حتی یاتی الله بامره والله لا یهدی القوم الفاسقین»

ارادالانصار رضی الله عنهم ان یفرغوا لاصلاح اموالهم لایام اکتفاءاً بانصار الاسلام فعاتبهم الله علی ذلک وانزل «ولاتلقوا باید یکم الی التهلکة»

قال سیدنا ابوایوب الانصاری رضی الله عنه «انما نزلت فینا معشرالانصار انالما اعزالله دینه وکثر ناصروه قلنافی ما

بيننا لو اقبلنا على اموالنا فاصلحناها فانزل الله هذه الاية (١)

ولكن مع الاسف الشديد قد تشاغل المسلمون اليوم بالدنيا كالامم الجاهلية وسعوا ورائها وعقدوا حياتهم بها ، فاذا أشرفتم على مدنهم و بلادهم من مرقب عال لم تميزوا بينهم وبين افراد امة جاهلية ، سعى وراء المادة فى غير اقتصاد ، واكتساب من غير احتساب ، سهر فى غير طاعة ، وعمل فى غير نية ، تجارة فى لهو عن ذكر الله و حرفة فى جهل عن دين الله ، و وظيفة فى الاخلاص لغير الله و حكومة فى مشاقة حكم الله ، شغل فى ضلالة ، و قعود فى بطالة !

هل اذا اطلعتم يا سادتى على بلاد اسلامية ورايتم هذه الامة فى غدواتها و روحاتها الى الاسواق والادارات ومصالح الحكومة عرفتم انها امة خلقت لشيئى آخر ، وبعثت لغرض آخر اسمى من هذه الاغراض التى يسعى لها الكافر والمؤمن ؟

ان هذا الاسلوب من الحياة لحجة ظاهرة لاهل الجاهلية على المسلمين فلو نطقوا لقالوا ماذنبنا ايها المسلمون اذ عرضنا على نبيكم المال والسيادة والملك فابى ورفض كل

---

(١) رواه ابوداؤد فى سننه

ذلك الانراكم تسمون وراءالذى رفضه نبيكم كانما خلقتم لاجله ، اما آذيتم نبيكم بقبول ما رفضه عنه وعنكم ، ؟ !

و اذا كنتم تسمون لمال اوجاه او شرف او حكم على قطعة ارض فلماذا تظاهرتم بالدين واقمتم واقعدتم الدنيا لاجله و كدرتم علينا صفوالعيش ، لقد كنتم و كنا فى غنى عن هذهالحروب الطويلة التى ايتمت النبين وايئمت النساء واجلت الناس عن الاوطان !

اعيدوا الينا اذاً تلكالدماء التى اريقت فى ساحة بدر واحد وحنين وخيبر واليرموك والقادسية ، واعيدوا الينا تلك النفوس التى قتلت فى سبيلالدين !

و ماذا يكون جوابنا لوتعرض لنا احد من اخلافهم الاحياء وقال ماغنائكم ايها المسلمون لقد ساهمتمونا فى اسباب الحياة وخلقتم لنا فوق ذلك مشاكل كثيرة فى الحياة السياسية والاجتماعية ، ولانراكم تسدون عوزاً او تصلحون خللا او تلمون شعثاً او تقيمون زيغاً فىالحياة!

عفواً ايها السادة وسماحاً ايها الكرام فقد طال العتاب وقديما قال الشاعر العربى "وفى العتاب حياة بين اقوام"

ان حياةالامم ايها السادة الكرام بالرسالة والدعوة وان الامة التى لا تحمل رسالة ولا تستصحب دعوة حياتها مصطنعة غير طبعية ، وانها كورقة انفصلت من شجرتها فلا يمكن ان تحيا بسقى ورى « فاما الزبد فيذهب جفاءاً واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض »

اننا ايها السادة امة الحاضر وامة المستقبل قدكتب لنا الخلود و النصر لاننا اصحاب دعوة و رسالة نبوية وهى الرسالة الابدية التى قضى الله بخلودها و ظهورها ، فلسنا تحت سيطرة المادة وحكم الزمان المنقلب بشرط ان نقوم بدعوتنا ونستقل برسالتنا ونعود امة دعوة نبوية كما بدأنا . دعوة فى ما بيننا معشر المسلمين و دعوة فى غيرنا من الا جانب فى الدين ،

لقد تخلفنا عن الامم المعاصرة فى العلوم الطبعية والاسباب الحربية وفى الاخذبا سباب الرقى المادى بعدة قرون ، وقد كانت المسابقة بيننا وبينهم كمسابقة الارنب والسلحفاة الا ان الارنب كان ساهراً مع خفته وسرعته والسلحفاة نائمة رغم بطئها و ثقلها ، ولو جارينا هذه الامم

اليوم لاستغرق ذلك قروناً ثم كانت المقارنة بحساب دقيق، فاذا فاق العدو وسبقنا بشعرة فى القوة المادية والعدد الحربية رجحت كفته لان المادة عمياء وهى من القساوة والحياد التام بمكان لا تفرق فيه بين المحق والمبطل والشريف والوضيع،

ولكن الدعوة والرسالة - وهى الروح التى تقهر المادة وتسخر الاسباب وتستنزل النصر - تأتى بخوارق ومعجزات وطالما قهرت القاهر وفتحت الفاتح، وطالما خضعت الحكومات القاهرة ودانت الملوك الجبابرة بقوة الدعوة والرسالة للمماليك والصعاليك وقد جربت ذلك هذه الامة مرتين بوضاحة فى التاريخ،

مرة لما خرج العرب من جزيرتهم الى البلاد الرومية والفارسية فى ثياب صفيقة مرقعة وفى نعال وضيعة مخصوفة يحملون سيوفاً بالية الاجفان رثة المحامل على خيل قصيرة متقطعة الغرز وسرعان ما قهرت دعوتهم ورسالتهم وحياتهم الامم الرومية والفارسية التى كانت كدمى كسيت حللا فاخرة واعوادا اسندت الى الجدار لحرمانها من رسالة وقعودها عن دعوة، وكان الانتصار فى الاخير للرسالة

على النظام و للروح على المادة وللمعنى على الظاهر ،

ومرة ثانية لما قهر التتر ــ ذلك الجراد المنتشر ــ العالم الاسلامى من اقصاه الى اقصاه و خضدوا شوكة المسلمين فلم تقم لهم قائمة ولم يقف فى وجههم واقف و كادالمسلمون يصبحون اثرا بعد عين واستولى اليأس على قلوبهم حتى كان من الامثال السائرة، «اذا قيل لك ان التترا فهزموا فلا تصدق » هنالك نعلت الدعوة الاسلامية فعلها و نفذت فيهم فاذا القاهر يصبح مقهوراً و اذا الفاتح مفتوح الدين المفتوحين واذا التتر يلفظون بكلمة الاسلام ويدينون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، و يصبحون امة اسلامية ،

وان الرسالة الاسلامية لتاتى بالمعجزات اليوم وتقهر الامم ــ طوعاً لاكرها بسلطانها الروحى ونفوذها العجيب ،

ان آبائكم ايها السادة المسلمون قد انتشروا فى عواصم الجاهلية الاولى ومراكزها الكبرى يقولون «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادةالله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جورالاديان الى عدل الاسلام» وخلصوا الامة الرومية من عبادة المسيح والصليب والاحبار والرهبان

والملوک وخلصوا الامة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني ، والامة الطورانية من عبادة الذئب الابيض والامة الهندية من عبادة البقر الى عبادة الله وحده واخرجوها نعلاً من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، والعيون تنتظر منذ زمان رسل المسلمين ينتشرون فى عواصم الجاهلية الثانية يهتفون الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن الى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والاثرة والجشع المادى الى سعة عالم القناعة والايثار والزهد ونعيم الروح وطمانينة القلب ، ومن جور النظم السياسية والاجتماعية الى عدل الاسلام ،

لقد انحرفت حياة المسلمين ــ ايها السادة ! ومدنيتهم عن مركزها و مثلها الكامل ولم تزل الشقة تطول بينهما والخرق يتسع حتى اصبحت حياة مدنية لاتشبه اصلها الا ببعض شعائر الاسلام الظاهرة فى بلاد المسلمين ، وصعب على المسلم اليوم ان يتمثل تلک الحياة الماضية فسافروا معى ايها السادة على صفحات التاريخ فى المسافة الزمانية وارجعوا الى عهد الرسالة المحمدية على صاحبها الصلوة والتحية وقفوا

بنا فی مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ساعة نشاهد حياتها وتصورها لابناء هذا العصر لعلهم يدركون مافاتهم

هذه هی المستعمرة الاسلامية الاولی وهی مدينة بمعانی الكلمة ليست بزاوية من زوايا الشيوخ او مدرسة من مدارس العلم او مسجد نحسب ولكنها مدينة جامعة قد تمثلت فيها الحياة الانسانية بجميع معانيها و نواحيها ، ففيها الاسواق وفيها المزارع وفيها البساتين وفيها الاسروالبيوتات وفيها التاجر وفيها الفلاح وفيها الملاك وفيها من ياكل بعرق جبينه وكديمينه ،

وهاهوذا قداسفر النهار والناس راجعون من المسجد النبوی فی سكينة ووقار ولكن فی خفة ونشاط ، وهنا دكان يفتح فی السوق ، وهنالك سكة تمشی فی الحقل ، وهذا بستان من نخيل يسقی وذلك اجيريشتغل فی حائط على أجرة ياخذها فی المساء قد اندفعوا الى اشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال وعول العيال وطلب مرضاة الله بالمال ، قفوا منهم بجنب وارقبوهم عن كثب ترونهم خفاف الايدی فی العمل ذلل اللسان بذكر الله ، عامری

القلوب بالحسبة وطلب الاجر يحتسبون في اشغالهم مالا يحتسب المصلي اليوم في صلاته مقبلين بقلوبهم الى الله و بقالبهم الى شغلهم

وها هوذا قد اذن المؤذن فاذا بهم ينفضون ايديهم مما كانو افيه كان لم يكن لهم به عهد وكأنما نشطوا من عقال وخف الي المسجد « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و اقام الصلواة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار »

وها هوذا قد قضوا صلاتهم وانتشروا في الارض يبتغون من فضل الله ويذكرون الله وقد مالت الشمس الى الغروب ، فرجعوا الى بيوتهم و قابلو اهلهم و جلسوا اليهم يتحدثون معهم ويلاطفونهم و يؤنسونهم لماسمعوا بالامس من فضائله وثوابه ، وناموا بعد صلوة العشاء واذا بهم قائمون امام ربهم في الاسحار لهم دوي كدوي النحل وفي صدورهم ازيز كا زيز المرجل ، وينصرفون بعد صلوة الصبح الى اشغالهم في نشاط الجندي و قوته كان لم تعبوا في النهار ولم يسهروا في الليل ،

اليست المدينة اذاً يا سادتى مسجدا واسعاً فهل رأيتم فيها غير عبادة ودين ؟ اوليسوا عاكفين فى هذا المسجد الواسع طول النهار وطول الليل ؟ وهل دار الفلك على زاوية اعمر من هذه الزاوية ــ ان كان لابد من هذا المصطلح ــ واكثــر منها منقطعين الى الله ؟!

وانظروا الى مجالس الذكر والعلم فى المسجد وقــد ضمت صنوفاً وانواعاً من الناس فهذا هو الفلاح الذى رأيناه فى النهار على حافة حقلـه، وهذا هو الاجير الذى رأيناه ينزع الدلاء ويسقى النخيل فى بستان يهودى ، هذا هو التاجر الذى رأيناه فى سوق المدينة يبيع، وهذا هو الصناع الذى وجدناه مشتغلاً بصناعته وليسوا الان الا طلبة علم، وقد هجروا راحتهم ــ وهم فى حاجة اليها بعد شغل النهار ــ وتركوا اهلهم وهم فى حنين اليهم ، لانهم سمعوا ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع (١) ، ولانهم سمعوا ان من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى

---

(١) اصحاب السنن

الجنة (١) ولانهم سمعوا «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملئكة و ذكرهم الله فى من عنده »(٢) وتراهم ساكتين كأن على رؤسهم الطير خاشعين كأن الوحى ينزل «حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير » يتسابق العلم والخشوع فلا يدرى ايهما اسبق وتبتدر المعانى الى القلوب والكلمات الى الاذان فلا يدرى ايها اسرع ،

ومن تفقدونه فى هذا المسجد ممن عرفتموه فى النهار فلانه قد اتفق مع جاره على التناوب فيحضر يوماً ويغيب يوماً وهذا دور جاره ولكنه على اتصال بما يدور فى هذا المسجد من حديث وخبر وحكم وآية بواسطة جاره

و هؤلاء هم القراء قد انقطعوا الى العلم فاذا جنهم اليل انطلقوا الى معلم لهم بالمدينة فيدرسون اليل حتى يصبحوا فاذا اصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء

(١) رواه مسلم (٢) رواه مسلم

واصاب من الحطب ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة و اصلحوها فيصبح ذلك معلقا بحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

وما من احد في المدينة الا ويعرف الحلال والحرام وما يتعلق بحياته و حرفته وصناعته وشغله من الاحكام، ويحفظ من القرآن مايقوم به في صلوته، ثم هو مستمر في طلب العلم يزداد كل يوم فقها في الاحكام ورسوخاً في الدين و حرصاً على العمل وشوقا الى الآخرة ورغبة في الثواب وهذا هو العلم الذي يمتازون به وعلمهم بالفضائل اكثر من علمهم بالمسائل ، وباصول الدين اكثر من علمهم بفروعه وبمحكماته اكثر منه بمتشابهاته ، « ابر الناس قلوبا واعمقهم علماً واقلهم تكلفا » (٢)

واذا تعلم احد منهم شيئا من الدين اسرع الى اخوانه يعلمهم لانه سمع « الا فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع (٣) وسمعوا نبيهم يقول «انما بعثت معلما (٤) »

---

(١) مسند احمد ص ١٣٧ ج ٣ (٢) من كلام عبدالله بن مسعود رض
(٣) متفق عليه (٤) رواه الدارمي

وسمعوه يقول «لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (١)» وسمعوه يقول «ان الله و ملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها و حتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير (٢)

وهكذا انقسم المسلمون في المدينة بين طالب ومعلم فاما طالب واما معلم بل كل واحد منهم طالب ومعلم في وقت واحد ياخذ من مكان ويدفع الى مكان

افليست المدينة اذاً مدرسة واسعة عامرة بالطلبة والمعلمين وهل عرف التاريخ مدرسة اوسع واعمر من هذه المدرسة النبوية التي يتعلم فيها التاجر والفلاح والاجير والصناع والمحترف والمشغول والشاب الناهض والشيخ الفاني، يتعلمون فيها بجميع مشاعرهم فالاذن تسمع والعين تبصر والقلب يشعر ويتأثر والعقل يفكر والجوارح تعمل، يشاهدون المعاني في صورها وامثالها، ولا يقرأونها بلفظها فقط، فاذا عرفوا الايثار على النفس مثلا عرفوه في ضيافة ابي طلحة لضيوف

---

(١) متفق عليه (٢) رواه الترمذي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بات هو واطفاله جياعاً ، وفى قصة الجرحى الذين آثروا اخوانهم على انفسهم فى الماء فماتوا عطا شا، واذا عرفوا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوه فى قصة خبيب رضى الله عنه لمار فعوه على الخشبة نادوه يناشدونه اتحب ان محمداً مكانك ؟ قال لا والله العظيم ما احب ان يفدينى بشوكة يشا كها فى قدمه نضحكوا منه (١) فعرفوا من معانى الايثار والحب مالا يعرفه اكبر لغوى واديب وعالم علوم النفس ،

عرفوا احكام الاجتماع فى الاجتماع واحكام الاختلاط فى الاختلاط واحكام التجارة فى التجارة واحكام المعاشرة فى المعاشرة، فقدروا ان يحافظوا على دينهم ونياتهم وخشوعهم وذكرهم فى المجامع والمجالس وفى صخب الاسواق وفتنة البيوت وفى مجامع الشياطين ومقاعدهم، فاذا خاضوا فى لجة الحياة واندفع بهم التيار لم يغلبوا على امرهم، شان الذى يتعلم السباحة فى بحر متلاطم و نهر فياض فكانوا فى المسجد اذا خرجوا من المسجد ، وفى الصلاة اذا انصرفوا من الصلاة ، بررة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٦٣ ج ٤

القلوب، صادقى الوعد، سديدى القول فى المساجد والاسواق معاً ، وفى المعتكف والحانوت معاً ، وفى الحضر والسفر معاً ، ومع الصديق والعدو معاً . ،

حتى اذا نادى منادى الجهاد « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله » وهتف هاتف الجنة « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » دارت حماليق وجوههم ورقصت قلوبهم فى صدورهم تحولت المدينة الى ثكنة واسعة فماهى بالتى رأيتموها واصبح اهلها جنوداً متطوعة فماهم بالذين عرفتموهم، اقفل التاجر دكانه ، وترك الفلاح سكته ورمى الصناع آلاته وترك الاجير رشاءدلوه وخرجوا فى سبيل الله لا يلوؤن على شيئى ولا يصدهم شيئى كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد وفى ديارهم واهلهم على مسامحة ورخصة ،

و ترونهم يتجولون فى البلاد و يسيحون فى الارض ويتغربون فى دين الله كانهم خلقوا على ظهور الخيل و وولدوا على متون الابل يعدون غدوة اوروحة فى سبيل الله افضل من الدنيا وما فيها فيصلون النهار بالليل والشتاء

بالصيف حتى يحتاج امامهم الى تحديد اغترابهم باربعة اشهر وهم اينما رحلوا ونزلوا مدارس سيارة و مساجد متنقلة وهكذا نشروا الدين من اقصى الارض الى اقصيها ومن شرقها الى غربها ،

هذه مدينة الرسول على ساكنها الف الف سلام فى القرن الهجرى الاول ، وهكذا كان يجب ان يكون العالم الا سلامى كله - اذا كان عالما اسلاميا - فكما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امام المسلمين باجمعهم والاسوة العامة لجميع المسلمين فى كل زمان ومكان كذلك مدينته امام المدن الاسلامية والا سوة العامة لها فى كل زمان فان النبى صلى الله عله وسلم قد انتهج منهجا للحياة وهذه الحياة قد تمثلت فى مدينته فى عهده ويجب ان تتمثل فى جميع البلدان الاسلامية فى كل زمان ،

ولكن كيف السبيل الى ذلك وقد انحرفت حياة المسلمين عن مركزها وكأنها رحى لاتزال تدور ولكن ليس حول قطبها ، فتسمع لها جعجعة ولا ترى طحنا ، ولا يستقيم سيرها ولاينتج عملها الا اذا عادت الى قطبها ،

وذلک القطب هو كلمة الشهادة التی يدين بها كل مسلم فينبغی ان تتوغل اصولها وعروقها فی اعماق القلب والذهن وفی احشاء الحياة وتتمدد فروعها حتی تظل الحياة كلها فلا تخرج ناحية من نواحيها من سماوتها ، وذلک بتجديد العهد بها والتفكر فی معانيها ومقتضياتها والتشبع بروحها وتحقيق مطالبها واحكا مها فی الحياة ،

والكلمة تقتضی بالطبع تغييرا جوهريا فی مبدأ الحياة وفی منهاج الحياة ، فاما فی مبدأ الحياة فهو معنی قوله تعالی « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » واما التغيير فی منهاج الحياة فهو نقلها من حياة المادة الی حياة الايمان والاحتساب او بلفظ آخر نقلها من الحياة البشرية العامة الی الحياة النبوية الخاصة

والذی يساعد فی هذا التغيير ويمهد له السبيل هو الصلوة التی هی الصورة المكبرة للكلمة والصورة المصغرة للحياة الا سلامية حياة الخضوع والا نقياد لله سبحانه وتعالی فهی تفصيل الكلمة وايجاز الحياة وكانها جسر منصوب بين الاعتقاد والحياة وبين القلب والجسم ، لا يصل بغيرها

الانسان من العقيدة الى العمل

والذى يساعد فى تغيير منهاج الحياة واساليبها ووضعها وينقل من الحياة المادية المحضة الى حياة الايمان والاحتساب ويحرض عليه هو العلم الذى يعرف به الانسان الثواب والعقاب وفضائل الاعمال وصفة الجنة وما اعدالله لاهلها فيها من نعيم ، واخبار الصحابة وسلف هذه الامة التى تبعث فى الانسان عاطفة العمل وتنفخ فيه روح النشاط ، وتهيج فيه الحنين الى الجنة وذلك هو الروح الذى أتى بخوارق ومعجزات فى التاريخ البشرى وخليق بان يعيدها فى هذا الزمان ،

والذى يبعث الاستقامة على هذا المنهاج ويذلل الصعاب هو ذكر الله تعالىٰ وهو عبارة عن طرد الغفلة ومن طرقه التسبيحات والاذكار المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فالمحافظة عليها بايمان واحتساب تطرد الغفلة وتنير القلب وتغذى الروح ،

ثم الانتقال من حياة اللزوم الى حياة التعدية ومن الحياة الدينية الفردية الى حياة الدعوة والرسالة الاجتماعية وهى

الميزة التى تمتازبها هذه الامة بين الامم كما قدمنا ، وتمرين الدين عمليا فى ميادين الجهل والغفلة وفى مجتمعات الضلالة بالتواصى بالحق والدعوة الى الدين ،

وليكن ذلك مع مراعاة دقيقة للآداب الدينية ومع محافظة شديدة على احترام شخص المسلم مهما كان جاهلاً وبعيداً عن الدين ، وتقدير ايمانه المستور فى حجب الجهل والغفلة ومعرفة حقه وفضله والا تنقلب هذه الحركة فتنة وهذا الاصلاح كفاحاً ويكون ضرره اكبر من نفعه

وكأنى هنا بقائل يقول هذا الكلام كله حسن معقول لا يختلف فيه اثنان ولكن ماهو الطريق ؟ قد جربنا الاصلاح الدينى مراراً فلم نفلح نشرنا فى ذلك الكتب ووزعنا المطبوعات واسسنا لاجل ذلك جمعيات والقينافى هذا الموضوع محاضرات ، وكان كل ذلك صيحة فى واد و نفخة فى رماد ، لان المسلمين غائصون فى لجة الحياة الى آذانهم ، ومادامو مأسورين لا شغالهم ومحيطهم فانك تضرب فى الحديد البارد ،

اقول نعم لايمكن تغيير فى حياتهم الا اذا اخرجناهم

من هذه اللجة لوقت قليل وخلصناهم من سلطان الاشغال وسيطرة المحيط وتمكنت فيهم التعاليم الدينية ، ثم لاباس ان يرجعوا الى لجة الحياة ويعودوا الى اشغالهم فانهم يؤمن عليهم الغرق ،

وانا اضرب لكم ايها السادة لذلك مثلا عمليا ،

رقعة ذات مساحة واسعة فی جنوب دهلی تقطنها اربعة ملائين من المسلمين وقد اسلموا فی زمن قديم ولكن كان اسلامهم سطحيا فلم يتأثروا بالاسلام كثيراً ولم تنقطع صلتهم بحياتهم الجاهلية الاولى وبقيت فيهم اوتسربت فيهم من جيرانهم الكفار شعائر جاهلية ، اسماء غير اسلاميه ، اعمال وثنيه ، اخلاق همجية وعادات و تقاليد هندكية ، يطوف كثير منهم حول الصنم ويقربون له القرابين ويقدسون روث البقر ويخشون آلهة القبائل ويحتفلون با عياد المشركين وقد نسى كثير منهم كلمة الاسلام وطال عهدهم بالصلاة حتى نسوا شكلها فاذا رأوا احداً يصلى كادوا يكونون عليه لبدا ويرمونه بالجنون اوالخبل، والمساجد فی ارضهم نادرة جداً واما العلم الدينى فقد كان فی هذه القطعة الكبريت الاحمر ،

وقدا اصبحوا ببعدهم عن الدين وتعاليمه و الانحطاط في الخلق والامعان في الجهالة والامية مثلا في الادب الهندي لسوء الاخلاق ورمزاً للصوصية والا غارة وقد اتعبوا حكومة دهلي في عهد دولة المماليک حتى الجأوها الى غزوهم في بلادهم وكبح جماحهم وقطعت لذلک بعوثا واخيراً ارسلت جيشا كثيفا اوغل في بلادهم وخضد شوكتهم فاستراح اهل دهلي من غاراتهم الا انهم لم يتركوا اللصوصية وقتل النفوس وسرقة السائمة

بقيت هذه الرقعة الواسعة من ارض الهند وهي من العاصمة الاسلامية والمركز الثقافي على طرف الثمام وبقيت هذه الامة الموهوبة النجيبة القوية مهجورة قرونا طوالاً لاترغب حكومة في تعليمها وتثقيفها ولا يعتني مصلح ديني بتقويم عوجهم حتى كان العقد الثاني من القرن العشرين المسيحي فاشرأب الارتداد في الامم التي انتقلت من الوثنية الى الاسلام قبل قرون وخشي اهل النظر على اهل ميوات الارتداد ايضاً ،

هنالک قيض الله للاسلام رجلاً من عباده المخلصين

والعلماء العاملين وهو مولانا محمد الياس الكاندهلوى الدهلوى (١٣٠٣ــ١٣٦٣هـ) فطاف فى هذه القطعة من اقصيها الى اقصيها واوغل فى اوديتها و سهولها وجبالها وتحمل فى ذلك مشاق السفر والجوع والسهر وتعرض للخطر ايمانا واحتساباً وجهاداً فى سبيل الدين وشاهد ما عليه الناس من جهالة وغفلة عن الدين فلم يربدأ من نشرالعلم الدينى فى هذه الامة الامية وتاسيس المدارس والمكاتب لذالك،

حث الشيخ اهل البلاد على تأسيس المدارس الدينية وكانت له معهم اواصر دينية قديمة لان كثيراً منهم كانوا قد بايعوا اباه الشيخ محمد اسمعيل (م ١٣١٥هـ) وكثير منهم قد قرأواعلى اخيه الشيخ محمد (م ١٣٣٦) وكثير منهم بايعوه، والح عليهم فى ذلك فلم يرفيهم رغبة واقبالا عليه ورائى منهم احجاما وفراراً، ولم يزل يفتل فى غاربهم حتى تمكن من تأسيس عدة مكاتب بعد جهد طويل و سوال ملح، وتولى نفقاتها وتكاليفها،

تأسست المكاتب وجرت مجريها الطبيعى ولكن تأسف الشيخ جدا لمارائى ان اهل ميوات لايتما ونون على ذالك

وحتى الناس لايسمحون لاولادهم بالتعلم فيها ويعدون ذلك ضياعاً للعمر ، لانهم لايعرفون قيمة العلم والدين ولا يعدونهما حاجة من حاجاتهم ، فاصبحت المدارس الدينية فى بلادهم كالقنصلية الاجنبية فى بلاد لادخل لها فى حياة البلاد ولا رغبة للامة فى شئونها وانما تلجأ اليها فى بعض الاحوال ،

ورائى ان هذه المدارس كجزيرة فى بحر الظلمات يحيط بها الماء من اربعة جوانب ، فالذين يتعلمون فيها لايخرجون من سلطان البيئة ونفوذ المجتمع واذاخرجوا منها ودخلوا فى معترك الحياة ـ وهى ثائرة على الدين ـ اضاعوا علمهم وضاعت فيهم تلك الجهود التى صرفت فى تعليمهم و تربيتهم الدينية وضاعت فيهم تلك الاموال التى انفقت عليهم طول المدة ،

نعرف بعد هذا الاختبار ان الجهود التعليمية لاتثمر ولا تنتج مادام المحيط ثائراً عليها مزاحماً لها وان المدارس والمكاتب والاصلاح لا يؤثر اذالم تكن للامة رغبة عامة والتماس للدين وشعور بنقصها الدينى وان المتخرجين منها

لا يوثرون في الحياة ولا يقدرون ان يحا فظوا على دينهم وخلقهم مادا موا في الامة وفي أسرهم ومجتمعهم كالا جانب والغرباء

ثم رأى ان الذين يتلقون العلم في المدارس هم عدد قليل جدا يعدون على الاصابع وان هذالعدد القليل لايقتنع به في اصلاح امة ،

وان هذه المدارس انما تنقل العلم الى افراد ـ والامة على حالها ـ ولكن نحتاج الى مشروع ينقل الامة فضلاً عن الافراد ـ الى الدين والعلم ، وذلك هوالفرق بين المعلمين والمرسلين فان المعلمين انما ينقلون العلم الى الافراد والا نبياء ينقلون الامم الى غايات العلم ولبابه وان المشاريع التعليمية تقسم العلم بين الامة قسمة ضيزى ، فتجتمع كميات كبيرة من العلم عند افراد ويبقى سائرالناس كالهمج الرعاء فلو قسم هذا العلم على الامة لوسعهم، وانها كالربوا يصبح به افراد من الناس اصحاب ثروة كبيرة وسائر الناس لايجدون كفافاً ،

ثم رأى ان الذين قد خرجوا من سن الدراسة

والتعليم وتقدم بهم العمر لاينتفعون بهذه المدارس ولايفسح وقتهم للتعلم فيهـا ، فلابد اذاً من دعوة عامة الى تعليم الدين بطريقة وجيزة سهلة طبعية لاتشق عليهم ولا تطول وتشمل جميع طبقات الامة

ولكن كيف السبيل الى ذلك وقد استولى الحيـاة الدنيوية وتكا ليفها على ابن القرن العشرين فاخذت بمجامع القلوب وأسرت الروح و غلت الايدى و صفدت الا قدام فاصبح الانسـان فى القرية والمدينة رهين بطنه ، أسير شغله ، حلس بيته اوحانوته او وظيفته ومـاتت فى النـاس العاطفة الدينية ورضوا بالحياة الدينا واطمأ نوابها ،

اهتدى الشيخ بفراسته الايمانية ونظره الثاقب وبمجاهدة فى سبيل الدين لقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وبدراسته العميقة النادرة لاصول الدين الى مركز العلة فى جسم هذه الحياة وهو الاستغناء فى امر الدين و الاخلاد الى الحياة فضرب على الوتر الحساس ودعاالناس فى ميوات اولا وفى المدن الهندية آخراً الى تفريغ اوقاتهم اربعين يوماً اواربعة اشهر مثلا۔ للدين وانقطاع الى تعلمه

لمدة قصيرة فكانت دعوة غريبة طارئة ولكن الشيخ لم يفشل ولم ييئس واستمر فى دعوته و دعائه حتى لبى النـاس دعوته وخرجت عصائب الى مراكز العلم والدين وعليها امير منهم يرأسهم ومعلم يعلمهم مبادئ الدين واحكامه والقرآن ، ويقرأ عليهم فضائل الصلوة والذكر والعلم والقرآن وقصص الصحابة واخبار جهـادهم وجهدهم فى سبيل الدين وحبهم للرسول عليه الصلاة والسلام ، واستهـانتهم بهذه الحيـاة وحنينهم للاخرة وتوقهم الى الجنة وايثارهم على النفس وزهدهم فى الدنيـا ومسارعتهم فى سبيل الخير و خشيتهم الله الى غير ذلك ممايحرك الساكن من قلوبهم ويثير الكامن من عواطفهم وبذرف الجامد من عيونهم ويشعل فيهم شعلة الحياة الاسلامية ،

ثم يخرجون فى اوقات مناسبة فيطوفون فى القرى ويمرون على البيوت ويحادثون الناس فى امكنتهم ويغشونهم فى انديتهم فيجلسون اليهم ويحرضونهم على الاقبال على الدين ويفهمونهم الغرض الذى خلقوا لاجله والغاية التى بعثوا لها ، وانهم لم يخلقوا عبثا ولم يتركوا سدى ويرهبونهم

من النار ويشوقونهم الى الجنة ويرغبونهم فى تعلم الدين والمبادرة الى ذلك ويخوفونهم من التسويف والمماطلة ويدعونهم الى مركزهم الذى قداقاموا فيه ليكلموهم فى تفصيل وذلك كله فى لطف ورفق ولين واحترام لايمان المخاطب وتقدير لاسلامه فى غير ازدراء ولا فظاظة وهم يغضون الطرف عن الحرام ويلهجون بالذكر اثناء الكلام ،

وهكذا يقضون اوقاتهم فى طلب العلم والدين وفى العبادة والجهد للدين وفى الاختلاط بجماهير الامة والاتصال بها فى سبيل الدين تحت نظام محكم متقن لا يتسرب فيه الفساد ولا تتطرق اليه الفتن ، لان حول العاملين والمتطوعين حصنا حصينا من الذكر والدعاء وحارسا من اكرام المسلمين والتذلل لهم كافة والتجنب عن كل مالا يعنيهم فى الدين والدنيا ،

وكان لذلك نفع ملموس ، قد تجلى فى ناحيتين ، الاولى ، ان المتطوعين الذين قضوا قسطاً صالحاً من اوقاتهم تغير وافى انفسهم ، عرفوا مبادى الدين واحكامه الاولية واستيقظت فيهم العاطفة الدينية وهبت عليهم نفحة من نفحات الحياة الاسلامية ،

وقد رأئينا طلائع هذه الحياة وآيات النهضة الدينية فى ميوات فرائينا تغيراً مشاهداً فى المعتقد والاعمال والاخلاق ، رائينا مدارس تشاد ومساجد تبنى وتعمر وجنايات تقل وتندر ، وفتناً تضمحل ، ويدعاً تموت ، وتقاليد جاهلية ترتفع ودعوات دينية وتعليمية تثمر وتزدهر ، ونفوساً جامحة تلين وقلوبا جافية ترق وعيونا تذرف ، وهمماً تعلو فى سبيل الدين واجلا لا لاهل العلم والدين وخضوعاً للحق مما لوجاهد الانسان او احد منها بالاستقلال لا ستغرق وقتا طويلا وجهداً كبيراً ،

ورائينا كذلک فی اوساط المتصلين بهذه الدعوة والحركة والمتطوعين لها من الناشئة الجديدة والطبقة المثقفة والموظفين والتجار آثار الانقلاب الدينى ، رائينا وحشة عن الدين تزول و تتبدل بالانس ، وتنافراً بين طبقتى المتدينين والمتمدينين اوالمتنورين-كما يسمون انفسهم- يرتفع واجلالاً لشعائرالاسلام وتعظيمها يحل محل الاستهزاء والسخرية منها، ورغبة فى تعلم الدين ومعرفة احكامه تشتدو تلح الى غير ذلک مما يمتازون به عن اقرانهم واترابهم وزملائهم،

والناحية الثانية ان الجماهير من المسلمين لم يزالوا يبتعدون عن الدين بالتدريج حتى اصبحوا فى واد والدين فى واد وتشاغل عنهم العلماء واصحاب الاصلاح والتعليم حتى انفصلوا عنهم فى كل شيئ واصبح هولاء امة واولئك امة تختلف الاولى عن الثانية فى العادات واللباس ومظاهر الحياة واللغات واللهجات ، واصبح هولاء العامة بجهلهم فريسة لكل صائد و اتباع كل ناعق تنهشهم سباع المادية وتغير عليهم لصوص الدين ، واخيراً فشت فيهم دعوة الشيوعية ووجدت انصارها فى عامة المسلمين مرتعاً خصبا ، ولكنا نتوقع ان هذه الدعوة الدينية والحركة الصحيحة والاتصال بالجماهير والطبقات المنحطة فى العلم والدين والمعاش مباشرة وبذل النصح لها يصد هذا التيار انشاءالله ويكون سداً منيعاً فى وجه الحركات اللا دينية

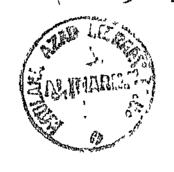
عرفنا ايها السادة بعد الاختبار الطويل انه لايمكن بقاء هذه الامة كامة دين ورسالة و حياة خاصة الا بالدعوة والرسالة

و عرفنا كذلك انه لايزدهر مشروع اصلاحى او

تكميلى الا بالدعوة الدينية الاولى على طريق التحريض والدعاية لا على طريق النظام والسياسة فى البداية فالحياة المدنية فى الاسلام مبنية دائما على اساس الحياة المكية : وكل مؤسسة لاتقوم على اساس الدعوة والتحريض الدينى ولا تسبقها جهود فى تمهيد الارض ، الى انهيار فى العاجل اوالآجل اقتنعنا بهذه المبادئ وجربناها فى بلاد بعيدة عن مركز الاسلام ، فى ارض وعرة قدا هملت منذ زمن طويل فرائننا الغراس يثمر والجهد القليل يأتى بحاصل كبير ،

وها نحن اولاء نتحف اخواننا المسلمين فى البلاد الاسلامية عامة وفى الاقطار العربية خاصة بهذه الدعوة الدينية ومبادئها وقد تلقيناها منهم فليتلقوها اليوم من اخوانهم ويقولوا «بضاعتنا ردت الينا» ويجربوها فى تربتهم الزكية الندية وفى اممهم النجيبة الذكية بجهودهم المتواصلة القوية ويشاهدوا سنة الله الابدية فى نصر الامة المحمدية و خوارق الدعوة الاسلامية

وتفضلوا فى الاخير بقبول فائق الاحترام
ولائق التحية والسلام



قام بالنشر مركز التبليغ في بستي نظام الدين ،
دهلي في مطبعة لطيفي
دهلي الهند
شعبان سنة ١٣٦٦ هجرية